﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾

[الأنعام: 118]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مفاصلةُ أهلِ الجاهليّةِ في تحريمِ كثيرٍ منَ الحلالِ، ومخالفتُهم في عاداتِهم القبيحةِ

بين هذه الآية والآيتين السّابقة واللّاحقة تناسبٌ واضحٌ، فقد أنهى السّياقُ محاجّةَ المشركين، وأوضحَ مسالكَهم في الضّلال، وكانتِ الآيةُ السّابقةُ مذكِّرةً بعلم اللهِ بالضّالّ والمهتدي، ثُمّ خلُصَ إلى ترسيةِ شرائعِ المهتدين، وإبطالِ شرائع المضلِّين، حتّى لا يختلطَ هذا بذاك[1]، ولذلك أمرَ المؤمنين أن يأكلوا ممّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه، وكانتِ الآيةُ اللّاحقةُ لها، تعلِّلُ الأكلَ ممّا ذُكِرَ اسمُ الله عليه على أنّه جزءٌ من تفصيلِ الشّريعةِ الّتي أبانَ اللهُ تفصيلَها في قرآنه المنزَلِ على نبيّه ﷺ.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

إبطالُ العاداتِ الشِّركيّةِ منَ الذّبحِ على النُّصُب، وأكْلِ الميتة ومثيلاتها

يأمرُ تعالى عبادَه المؤمنين بالأكل ممّا ذكّيتُم من ذبائحِكُم الّتي ذكرتُم اسمَ الله عليها، ممَّا ذبحَه المؤمنون بي من أهل دينِكم دينِ الحقِّ، أو ذبحَه مَنْ دان بتوحيدي من أهل الكتابِ، دون ما ذبحَه أهلُ الأوثان، ومَنْ لا كتابَ له، ذلك إنْ كُنتُم بآيات اللهِ مُؤمنِين؛ أي: إنْ كُنتُم بأحكامه وأوامره آخذين، فإنّ الإيمانَ بها، يتضمّنُ الأخذَ بها، ويقتضي الانقيادَ لها، أو كنتُم ببراهين اللهِ تعالى الواضحةِ مصدّقين[2].

وصحَّ في سبب نزولِ الآيةِ الكريمةِ عن ابنِ عبّاس ﷺ، قال: أتى ناسٌ النّبيَّ ﷺ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، أنأكُلُ ما نَقتُلُ، ولا نأكُلُ ما

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/30.

(2) ابن جرير جامع البيان: 9/511.

يَقتُلُ اللهُ؟ فأنزَلَ اللهُ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[1].

وترشدُ الآيةُ إلى النّهي عمّا ذُبِحَ على النُّصُبِ وغيرها، وعنِ الميّتةِ وأنواعِها، فجاءَتِ العِبَارةُ أمرًا بما يُضادُّ ما قُصِدَ النّهيُ عنهُ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاءِ في قولِه تعالى: ﴿فَكُلُواْ﴾:

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَكُلُواْ﴾ تحتملُ أن تكونَ فصيحةً، والتّقديرُ على كونها فصيحةً: إن كنتُم مؤمنين فكلوا، بدليل فاصلةِ الآية. وتحتملُ التّفريعَ؛ فقولُهُ: (فَكُلُوا) مُسَبَّبٌ عَن إنكارِ اتِّبَاعِ المُضِلِّينَ الَّذينَ يُحَلِّلُونَ الحَرامَ، ويُحَرِّمُونَ الحَلالَ[3]، فتكونُ في مقامِ التّفريعِ عن جملةِ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾؛ ممّا تضمّنَ إبطالَ ما ألقاهُ المشركون، من شُبهةِ الحلالِ والحرامِ منَ الذّبحِ والميتةِ على رسولِ اللهِ ﷺ، إذ قالوا: (تَزعُمُ أَنَّ مَا قَتَلتَ أَنتَ وأَصحَابُكَ، وَمَا قَتَلَ الكَلبُ والصَّقرُ حَلالٌ أَكلُهُ، وأَنَّ ما قَتَلَ اللهُ حَرَامٌ؟!) وهذا هو الخَرصُ الّذي قُصِدَ في الآية، النّاتجُ عن تحكيمِ الظّنِّ واتّباعِه، فجاء التّفريعُ بيانًا يردُّ على تخرُّصاتهم بالعلمِ اليقين.

الـفـاءُ إمّـا أن تكونَ فصيحةً أو تفريعيّةً

بلاغةُ الانتقالِ من خطابِ المفردِ إلى خطابِ المجموعِ في قولِه تعالى: ﴿فَكُلُواْ﴾:

مضمونُ الآية اعتمدَ التّخلُّصَ من مُحاجّةِ الّذين لا يُؤمنُون بالآخرة، وبيانِ ضلالِهم، إلى تبْيين شرائعَ هي هُدًى للمُهتدين، وإبطالِ شرائعَ شَرَعها المُضلُّون، تبيينًا يُزيلُ الاشتباهَ والظُّنونَ، والتفتَ الخطابُ منَ الواحد في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

شـريـعـةُ الأمّـةِ تُبنَى على عقائدِ أفرادِها

(1) الترمذي، الجامع الصحيح (برقم: 3069).
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/338.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/128.

﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وهو خطابٌ للمفردِ، والمقصودُ به النّبيُّ ﷺ صراحةً، والأمَّةُ ضِمنًا، إلى خطاب المجموع: ﴿فَكُلُواْ﴾، والمقصودُ به الأمَّةُ كلُّها، وبلاغةُ ذلك تكمنُ في أنَّ خطابَ المفردِ كان في أمر العقيدةِ، وخطابَ المجموعِ كان في أمر الشَّريعة، وشريعةُ الأمَّةِ مبنيَّةٌ على عقيدةِ أفرادِها، فإذا صلح الفردُ في اعتقادِه صلحتِ الأمّةُ في سلوكِها.

غرضُ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿فَكُلُواْ﴾:

الأمـرُ للإباحة في السُّلـوك وللـفـرض في الكيفيَّة

في قولِه تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ خرج الأمرُ للإباحة، ولمّا قال: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾، أفادَ تحريمَ أكلِ ما لمْ يُذكرِ اسمُ اللّه عليه[1]، فأمرَ بأكل ما ذُكِرَ اسمُ اللّه عليه؛ أي: ما ذُبِحَ وذُكِرَ اسمُ اللّه عليه، ونهى عن أكلِ ما لم يُذكرِ اسمُ اللّه عليه، ومنهُ: الميتةُ، وربطَ ذلك بالعقيدة والإيمان، فقال: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾، ولذلك أُعقِبَت هذه الآيةُ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: 121]، فصار مضمونُ قولِه تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عنوانًا لجانبٍ عمليٍّ، مُشترَكٍ بين العبادةِ والإيمانِ والمُمارساتِ، وقيل: تَرجعُ حكمةُ الاهتمام بهذه المسألةِ في هذا السّياق، وقرنُها بمسائلِ العقائدِ، إلى أمرٍ آخر، وهو أنّ مُشركي العربِ وغيرَهم من أهل الملل، جعلُوا الذّبائحَ من أُمُور العباداتِ، بل نظمُوها في سلك أمورِ الدّينِ والاعتقاداتِ، فصارُوا يتعبّدُون بذبح الذّبائحِ قرابينَ لآلهتهم، ويُزجُونها إلى مَن يُقدّسون من رجال دينِهم، ويُهلُّون لهُم بها عند ذبحِها، فيذكُرُون أسماءَ المُتقرَّبِ بها إليهم، وهذا هو الوجهُ لذكرها في هذه السّورة، بين مسائل الكفر والإيمان[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/31 - 32.
(2) الموصلّي، أولى ما قيل: 3/362.

بلاغةُ التّعبيرِ بـ (مِن) في قولِه تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾:

الإشـــارةُ إلى الاختـــيـــار والـتّـفـريـق، وإلى التّقديرِ والتّخفيفِ في المأكولاتِ

لم يقُل: (فكلوا ما ذُكِرَ اسم عليه) دون (مِنْ) الجارَّة؛ وذلك أنَّ كلمةَ ﴿مِمَّا﴾ تدلُّ على الاختيار والتّفريق، فالمرادُ أن تأكلوا مما ذُكِرَ اسمُ اللّه عليه من بين ما لم يُذكرِ اسمُ اللّهِ عليه، كالميتةِ والدّم والخنزيرِ وما ذُبِحَ لغير اللّه، وهذا الاختيارُ في المطعوم يوافقُ النَّهيَ من قولِه تعالى في سورة المائدة: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ [المائدة: 3]، وأنَّ كلمةَ ﴿مِمَّا﴾ تدلُّ كذلك على التّقدير والتّخفيف، فالمرادُ أن تأكلوا من ما ذُكِرَ اسمُ اللّهِ عليه قَدْرَ حاجتِكم ولا تبالغوا في الأكل؛ فإنّ ذلك من شُكرِ نعمةِ اللّهِ وحفظِ حقوقِ البدنِ، وهذا الانتقاءُ والتّبعيضُ في المأكول يوافقُ الأمرَ من قولِه تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: 31].

نُكتةُ استعمالِ الموصولِ في قولِه تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾:

التّـعـريـضُ بـمـا يـأكـلُـه الـجـاهـلـيُّـون، وتعظيمُ الذّبائحِ الّتي ذُكِـرَ اسمُ الله عليها

استعملَ الموصولَ (ما) في قولِه تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ﴾، الّتي تقعُ على ذواتِ ما لا يَعْقِلُ، وغرضُ التّعريفِ بالاسم الموصول هنا هو تعظيمُ شأنِ تلك الذّبائح الّتي ذُكِرَ اسمُ اللّه عليها، وتمييزُها عن غيرها؛ فهي ليسَت كالميتةِ، كما ادّعى المُخرِّصون من مشركي مكّةَ، ففيها تعريضٌ بما يأكله الجاهليُّون. ولم يقُل: (فكلوا منَ الذّبائح)، كما أنّ التّعريفَ بالموصول أفادَ الإيجازَ أيْضًا؛ فقولُه: ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ اختصرَ القولَ: (منَ الذّبائح الّتي أحلَّها اللّهُ لكم بذكر اسمِه عليها).

دلالةُ بناءِ فعل ﴿ذُكِرَ﴾ للمفعولِ:

مقصودُ السِّياق هـو المـقـدَّمُ في النَّظم

بناءُ فعلِ ﴿ذُكِرَ﴾ للمفعول؛ لعدم ضرورةِ ذكرِ الفاعل؛ فحُذِفَ؛ لأنّه لا يتعلَّقُ غرضٌ بذكره، وأُتِي بنائب الفاعل؛ لأهمّيّة ذكرِه، ومحوريّته، هذا فضلًا عن تحقُّقِ فائدةِ الإيجاز. فحذفَ هنا الفاعلَ وهو مَن قامَ بالتَّذكِيَة، وخصَّ بالذِّكر (اسم اللّه) ممّا ذُكِرَ على

الأنعام حالَ تذكيتها؛ لعدم الحاجةِ لذكر الفاعلِ وهو المُذكّي، وسلّطَ الضّوءَ على (ذكر اسم الله)، فهو مقصودُ الآيةِ والسِّياقِ.

ذِكـرُ اللـهِ على الّـذبـائح يكون عـنـد مُـبـاشـرةِ التّذكيةِ

دلالةُ استعمالِ حرفِ الاستعلاءِ ﴿عَلَيۡهِ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾: حرفُ الاستعلاء ﴿عَلَيۡهِ﴾ يُفيدُ الاستعلاءَ المجازيَّ، وهي تدُلُّ على اتّصال فعل الذِّكرِ بذات الذّبيحة، فيُذكَرُ اسمُ الله عليها، عند مُباشرةِ الذّبحِ.

الأمـرُ بـأكـل ما ذُكِـرَ اسـمُ الله عليه منَ الأنعام بالتّذكية

غرضُ الكِنَايةِ في قولِه تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾:

ما ﴿ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ كنايةٌ عنِ المذبُوح؛ لأنّ التّسميةَ إنّما تكُونُ عندَ الذّبح[1]، لا على غيره من قطوف الثّمارِ ونحوِها؛ ولأنّ المذبوحَ له روحٌ سوف تُزهَقُ بأمر الله، وبحِلِّه سبحانَه، فهو الّذي أحلّ هذا الفعلَ من أجل الإنسانِ؛ لينعمَ بأكلها؛ أمّا قطفُ الثّمار أو حصادُها فلا يكون فيها إزهاقٌ لروحٍ؛ فإن ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليها فهذا بابٌ للتقرّبِ إلى الله بالذّكر، وإنّما تجبُ التّسميةُ عندَ أكلِها.

دلالةُ استِعمالِ حرفِ ﴿إِن﴾:

قولُه تعالى: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ تقييدٌ لاقتصار المفهوم من فعل الإباحةِ، وهو تحريضٌ على التزام ذلك، وعدم التّساهُلِ فيه، حتّى جُعِلَ من علاماتِ كونِ فاعلِه مُؤمنًا، وذلك حيثُ كان شعارُ أهلِ الشّرك ذِكرَ اسمِ غيرِ اللهِ على مُعظمِ الذّبائح[2]، واستعملَ هنا حرفُ (إنْ) دون (إذا)، وهما يتضمّنان معنى الشّرطِ، علمًا أنّ حرفَ (إذا) هو الأوجهُ في الاستعمال؛ (إذا) تُستعمَلُ في الأمور ممكنةِ التّحقُّقِ على خلاف (إنْ) الّتي تُستعمَلُ في المُحتَمَل المَشكُوكِ فيه، وفائدةُ هذا الاستعمالِ ما يُحدثُه المعنى من تهييجٍ للمؤمنين ودعوةٍ لهم لالتزام شرعِ اللهِ تعالى والتّمسّكِ به.

الـتّـهـيـيـجُ لـلـمـؤمـنـين ودعـوتُـهـم لالـتـزام شـرعِ الـلـه تـعـالى والتّمسّكِ به

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/31 - 32.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/32.

نُكتةُ ذكرِ قَيدِ ﴿بِـَٔايَـٰتِهِۦ﴾:

ورودُ الآيـاتِ في هـذا النّصّ كـونُـه دليـلَ صـدقِ الرّسالةِ والرّسولِ وكذِبِ المعاندين

ذكرَ قيد ﴿بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾، ولم يقُل: (به مؤمنين)؛ لأنّه في معرضِ الحديثِ عن آياتِ اللهِ ومعجزاتِ نبيِّه ﷺ، وما ذُكِرَ آنفًا منَ الآياتِ المقترحةِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا﴾؛ وناسبَ كذلك ذكرَ الكتابِ في قولِه: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾.

بلاغةُ حذفِ جوابِ قولِه: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾:

الأكـلُ تـابـعٌ لـلإيـمـانِ فـإن تـحـقّـقَ فـأمـرُ الأكلِ يسيرٌ

حذفَ جوابَ قولِه تعالى: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾؛ والتّقدير: إن كنتم بآياته مؤمنين فكلوا، وحُذِفَ الجوابُ (فكلوا) إيجازًا؛ لمّا صُرّح بمعناه في مَطلعِ الآيةِ في قولِه تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾. وإيجازُ الحذفِ في الآية منحَها تنوّعَ المعاني وتبادلَ أدوارِ أدواتِ اللّغةِ دون الخروجِ عنِ السّياق العامِّ للآية، والغرضِ الشّرعيِّ للنّصّ الكريم، وهو أنَّ الأكلَ تابعٌ للإيمان، فإن آمنتُم فأمرُ الأكل هيِّنٌ يسيرٌ.

براعةُ شَبيه فنِّ الاحتباكِ بينَ مطلعِ الآيةِ وفاصلتِها:

مـدارُ الآيـةِ على جعل السُّلوكِ مـبـنـيًّـا عـلى الإيمان

في مطلع الآيةِ حُذِفَ الشّرطُ، على تقدير أن تكونَ الفاءُ فصيحةً، وفي فاصلتها حُذِفَ جوابُ الشّرط: فكلوا، والتّقديرُ: (إن كنتم مؤمنين فكلوا ممّا ذُكِرَ اسمُ الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين فكلوا)، وهذا ليس احتباكًا؛ بل هو شبيهٌ له؛ لأنَّ الاحتباكَ يكون التّقديرُ منَ المقابل اللّفظيِّ لا من تقديرِ جملةٍ للفاء الفصيحة، أو جوابِ شرطٍ محذوفٍ، وهو منَ الإيجازِ والبراعةِ بمكان.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»